أقصوصة

سبيل الخلاص والحرية

كان فيليب جالسا فى ردن ها دىء من القاعة الداخلية للمقهى تبد و عليه آثار الحزن والتأمل وهو يحدق فى آلة الفتوغرافيا الصغيرة الموضوعة امامه على الخوان حين دخل عليه صديقه جورج ، فا ان رآه على تلك الحال حتى تقدم نحوه وسحب كرسيا فجلس عليه وحياصديقه قائلا :

ــ مالك مطرق هكذا يا فيليب وفيم تفكر .. وما هى المناظر الجديدة التى تتخيلها ؟

فرفع فيليب نظره الى صديقه وفاه بكلمات غير واضحه . فاضطجع جورج فى مقعده الى الوراء واشار الى آلة الفتوغرافيا الموضوعة على الخوان وعاد فقال :

ــ اقول لك ماهى المناظر الجديدة التى تفكر فيها الآن ؟

فاجاب فيليب وهو مايزال غارقا فى تفكيره : « شىء مؤلم جدا ! »

وحضر النذل (الجرسون) فامره جورج بأحضار كأسين من الوسكى ثم التفت الى صديقه متبسما قائلا :

ــ ارنى هذه الصورة التى فى يدك فتنهد فيليب ومد يده بالصورة الى صديقه دون ان ينبس بكلمة .. وتناول جورج الصورة وجعل يتأملها بعين السرور التى ينظر بها الصديق الى منتجات صديقه .. وهى قد كانت صورة فتوغرافية صغيرة ولكنها دقيقة ، وتظهر فيهاسيدة بدينة تهم بركوب سيارة مليئة بالحقائب .. فبعد أن تأملها جورج هنيهة مد يده بها يعيدها الى صديقه قائلا :

ــ صورة جيدة هذه يا فيليب . أليست زوجتك ؟

فأومأ فيليب ولم يجب وعلائم الحزن لما تفارقه

واستتلى جورج قائلا :

ــ لعلك اخذت لها هذه الصورة وهى مسافرة ؟

فتنهد فيليب تنهيدة عميقة وأجاب :

ــ نعم ، اخذتها لها وهى مسافرة او بالاحرى وهى مغادرتى حيث قد افترقنا

فتراجع جورج قائلا :

ــ افترقا ! ؟ يا للهول ! ! وكيف كان ذلك ؟

اجاب فيليب متأوها :

السبب كله يرجع لهذه الفتوغرافيا (الآلة) الملعونة . . .

فرفع جورج - اجبيه مدهوشا قائلا :

ــ لست أفهم جيداً كيف يمكن أن يكون التصوير الفوتوغرافى سبباً فى افتراق الزوجين . . . فأرجوك زيادة الايضاح

فاعتدل فيليب فى مقعده واضعاً يسراه على ركبته ويمناه على الخوان ، ولم تفارقه تقطيبة جبينه وقال :

ــ المسألة فى غاية البساطة ! ! أنت تعلم هيامى بالتصوير الفتوغرافى واهتمامى به منذ حصلت على هذه الآلة من نحو سنتين تقريباً ، ولعلك تذكر انى ربحتها فى احدى المسابقات المشؤومة التى تقيمها الصحف والمجلات لتجتذب اليها أكبر عدد ممكن من القراء . . . فعندما ربحت هذه الآلة جعلت أتمرن على استعمالها حتى لهتنى عن كثير من الملاهى الأخرى . . . ولكنها لم تلبث أن ملكت قيادى وشغلت بالى عن كل ما عداها حتى كانت لا تفارقني ولا أفارقها إلا ساعة النوم . . .

فأومأ جورج مؤمنا على كلام صديقه الذى سكت هنيهة ليستروح ثم استمر قائلا :

ــ وكنت كل يوم أزداد شغفا بالتصوير الفتوغرافى فلا أسير إلا والكاميرا الصغيرة معى وجيوبى ملأى بالصور والأفلام حتى لا يفوتنى التقاط أى منظر أرى أن أسجله ، وكنت أصور فى اليوم الواحد عشرات الصور ، وأصبح شغفى بالتصوير طبيعة ثابتة فى نفسى حتى لقد كنت ألتقط بعض المناظر دون أن أفكر فى التقاطها . . وفى الوقت الذى لا أصور فيه أكون مشتغلا بتحميض الافلام أو إظهارها وطبعها ، فلم أعد أعمل شيئاً أو أفكر فى شىء إلا التصوير الذى ملأ حياتى كلها . . .

فقاطعه صديقه : « أظن أن زوجتك قد اعترضت على ذلك ؟ »

أجاب فيليب مبتئساً : « نعم ، لقد كانت تعترض وتحتج وتتوسل إلى المرة بعد

المرة أن أقلع عن التصوير ولكنى ما كنت لأستطيع أن أفعل ذلك حتى لو أردت .. ولا أكتمك أنى حاولت فعلا مراراً عديدة أن أتحرر من ربقة هذه العادة التى استحكمت فى فلم أفلح .. وكذلك لم تأل زوجتى جهداً حتى لقد حطمت لى عدة آلات وأعدمت آلاف الصور فلم يكن ينقضى على تحطيمها الا له من هؤلاء واعدامها رزم الصور — بضعة أيام حتى تكون أكداس الصور الجديدة قد ملأت ، ليس غرفة مكتبى وغرفة نومى فقط ، بل جميع غرف المنزل .

وحدث منذ أيام أنى فاجأتها وقد أشعلت النار فى كومة كبيرة من الصور فلم أفعل أكثر من أن التقطت لها صورة وهى واقفة تذكى النار حتى لا تبقى شيئاً من الصور ولا تذر ... والعجيب أنها غضبت لذلك غضبة هائلة ...

وسكت فيليب ليستروح مرة أخرى وخيم السكوت على الصديقين برهة إلى أن قطع جورج حبله قائلا :

— أمن أجل هذا اذن قد فارقتك زوجتك ؟

أجاب فيليب بصوت الحزين :

— نعم ، وقد كان ذلك منذ يومين .. وقد قالت لى أنها لن تعود إلى إلا إذا أقلعت عن التصوير قاطبة ... ولعمرى لست أدرى كيف يمكنى أن أفعل ذلك ! فان شغفى بالتصوير أصبح مساوياً لعادة ادمان المخدرات ...

وهنا ساد السكون ثانية بين الصديقين ، وكل منهما ظاهر عليه الاستغراق فى تفكير عميق ... وطال صمتهما فى هذه المرة عن سابقتها إلى أن قطعه فيليب أيضاً بأن انتصب واقفاً وتناول كأسه فشرب ما فيها دفعة واحدة شأن من يريد الاسراع بالذهاب ! ! فرفع فيليب رأسه وسأله :

— أذاهب أنت أيها الصديق ؟

أجابه جورج :

— نعم ، يجب أن أذهب حالا قبل أن تغلق الحوانيت أبوابها ...

قال فيليب — حوانيت ؟ حوانيت ماذا ؟

أجاب جورج — حوانيت التصوير لأشترى آلة وعدة أفلام وورق وكراسة لحفظ الصور ...

وانطلق جورج كالسهم قبل أن أفاق صديقه من ذهوله ...

« معربة بتصرف »

احمد مختار